ورقة من تاريخ الاستشراق في ألمانيا:

يوليوس ڤلهاوزن

بقلم أنتون شال

إذا تجرأ كاتب هذه السطور، الذى لم يولد فى فترة حياة يوليوس ڤلهاوزن، أن يكتب عن ڤلهاوزن فى هذه المجلة، فإنه لا يفعل ذلك إلا لأنه أتيح له من خلال اتصاله الوثيق المستمر بأستاذه الجامعى خلال اثنى عشر عاماً أن يعرف تفاصيل شخصية كثيرة عن سلفه فى الوظيفة الجامعية وصديقه الشخصى الحميم[1]. وبهذه المعرفة حول شخص ڤلهاوزن التى انتقلت بالاتصال الانسانى المباشر وبالمعرفة التى تتناول مؤلفاته وأعماله والتى تمت بمواصلة الاطلاع الدائب، فإنى سأحاول فيما يلى أن أرسم معالم سيرة يوليوس ڤلهاوزن كرائد طليعى فى ميادين أبحاث الكتاب المقدس والدراسات الإسلامية والعربية.

ولد يوليوس ڤلهاوزن فى السابع عشر من مايو عام ١٨٤٤ فى مدينة هاملن فى سكسونيا السفلى على نهر الڤيزر وكان أبوه قسيساً لتلك البلدة الهانوڤرية الريفية بحيث أتيح للابن أن يترعرع فى اتصال مباشر بالشعب. وقد علق على ذلك مرة بقوله: «إننى مدين لذلك الوضع بالكثير، وربما بأفضل ما عندى».

وعاش ڤلهاوزن مع الطبيعة هنا كأبناء الريف، فكان يشعر مباشرة وبدون وساطة بتغير فصول السنة، ويستمتع ببدء مطاردة الأبقار والأغنام وكأنه عيد بهيج. وكان مزارع عجوز قد أحاط الصبى بحبه ورعايته الشديدين، حتى جاءه ذات يوم وأسر له بأنه أعد وصيته ثم قال له بلهجته الريفية العامية: «وقد ذكرتك بشئ فيها أيضا.»[2]

وقد كان ڤلهاوزن سعيدا بهذه التركة فيما بعد، مع راتبه الضئيل عندما أصبح استاذاً خارج الملاك فى هاله.

لم يكن ڤلهاوزن طفلا معجزة على الإطلاق. فقد كان هزيلا متحفظاً، كما أن معلماً كتب فى شهادته المدرسية أنه يفتقر إلى كل قدر من الخيال. وفى سن الخامسة عشرة انتقل إلى المدرسة الثانوية (الليسيوم) فى هانوڤر، ولم يكن هناك طفلا معجزة أيضا؛ إلى أن بدأ عام ١٨٦٢ دراسة اللاهوت فى جوتنجن كما كان ينتظر من ابن القسيس آنذاك. وراح يدرس فى البداية دون لذة واهتمام حقيقيين، وكان التأمل اللاهوتى والفلسفى بالنسبة له فى سنواته الدراسية الأولى شيئاً مقيتاً ككل ما يفرض بالإكراه. وراح ينتظر الرجل الذى لم يكن قادراً على تعليمه بعض العلم فحسب، بل وقادراً على إرشاده أيضاً. ولم يكن هناك فائض من أمثال هؤلاء الرجال فى جامعة جوتنجن وخاصة فى كلية اللاهوت فيها، إلى أن وقع بين يديه فى فصح عام ١٨٦٣ كتاب إيڤالد حول تاريخ بنى إسرائيل فلاقى فى نفسه هوى شديداً حتى أنه عزم على تعلم اللغة العبرية التى لم يكن قد تعلمها حتى ذلك الحين بعد. ويقول فى ذلك: «إننى لم اكن أفهم المشاكل اللاهوتية؛ ولكن ما همنى كان إيڤالد وكذلك الكتاب المقدس، الذى كنت ملماً بدقائقه بحكم نشأتى.» ويكتب ڤلهاوزن فى مكان آخر: «لقد أنقذنى إيڤالد، أنا الذى كنت أقابل بالسخرية غالباً آنذاك.»

وهكذا فقد كسب هاينرش إيڤالد (١٨٠٣ — ١٨٧٥)، الذى أصبح غريب الأطوار فى سنى عجزه، وأحد «كبار جوتنجن السبعة»، تلميذاً آخر استطاع بغريزته التى لا تخطئ أن يدرك ويستخلص لنفسه ما فى تفكير إيڤالد

(١) انظر رثاء ادوارد شڤارتز Eduard Schwartz لڤلهاوزن، ص ٣٢٧ من مجموع المؤلفات، المجلد الاول، برلين ١٩٣٨.

(٢) "Da steihst du ok in"



تصوير يوليوس ڤلهاوزن.

من عظمة وعمق وكلية. وكان إيڤالد لا يظل عالقاً فى التفاصيل الجزئية، بل كان همه الرئيسى إدراك الترابط الحيوى والعلاقات الأساسية. ومن إيڤالد تعلم ڤلهاوزن هذا الفن الذى كان يمارسه بالنسبة لأدق المواضيع وأصعبها ببراعة لا تجارى. وبعد إنهاء دراسته اللاهوتية تجرأ ڤلهاوزن إبتداء من عام ١٨٦٧ على حضور الحلقات الدراسية التى كان إيڤالد يعقدها عصراً حول النصوص الشرقية. ثم حدث شقاق بين المعلم وتلميذه حول الاحتجاج الڤلنى لعام ١٨٦٦، ضد ضم هانوڤر إلى بروسيا. فقد رفض إيڤالد بروسيا رفضا باتاً، بينما رفض ڤلهاوزن أن يتبعه فى ذلك، ولم تنقشع أسباب هذا الشقاق فيما بعد أيضاً بينه وبين معلمه.

وقبل اندلاع الحرب الألمانية الفرنسية فى ١٨٧١/١٨٧٠ بوقت قصير أنهى ڤلهاوزن سنى دراسته بالتقدم إلى درجة الليسانسية فى التاسع من يوليو (تموز) عام ١٨٧٠. وكشفت اطروحته مبكراً عن مواهبه وكانت تحمل العنوان اللاتينى : De gentibus et familiis Judaeis quae 1. Chron. 2,4 enumerantur أى : «حول القبائل والأسر العبرية، كما جاءت فى سفر العدد ٢، ٤». وفى عام ١٨٧٢ استدعى ڤلهاوزن إلى جامعة غرايفسڤالد كاستاذ نظامى للعهد القديم. وهناك عقد قرانه على الابنة الكبرى للكيميائى لمبرشت Limpricht. وظل زواجه السعيد بدون أطفال. وفى عام ١٨٧٦ جاء اولريش فون ڤيلاموڤيتس Ulrich von Wilamowitz إلى غرايفسڤالد، وبذلك حصل على زميل كان فى مستواه. وبفضل ڤيلاموڤيتس أثير اهتمامه باللغات الكلاسيكية كواقع مثير.

وفى عام ١٨٧٤ نال ڤلهاوزن درجة الدكتوراه فى اللاهوت من جامعة غوتنجن بدراسة حول الفريسيين والسدوسيين. وفى هذا العمل المبكر يتضح أن صورة التاريخ اليهودى قد اتخذت لديه أشكالا معينة خاصة. وبعد ذلك بفترة قصيرة، أى عام ١٨٧٦، بدأت سلسلة الأعمال الكبيرة التى اكسبت ڤلهاوزن مكان القيادة فى أبحاث العهد القديم والديانة الإسرائيلية. وفى دراسته حول تأليف ال-Hexa-teuch أى التوراة مع كتاب القضاة، فصلت الطبقات الادبية بصورة محددة بعضها عن البعض الآخر. وكان الحديث حول اليهويين والإيلوهيين وحول الكتاب الأصلى دائراً منذ زمن طويل، كما أن فرضية أجزاء المخطوط الأصلى وما أعقبها من تتمات كانت أمراً مقطوعاً فيه

من حيث الأساس. أما ڤلهاوزن فقد كان أول من قام بأعماله هذه بدراسات تحليلية تستند إلى النص الحى نفسه. فبغريزة العبقرى كان يستخرج الجوهر الأساسى من المتن، ذلك الجوهر الذى يخضع للبرهان والدليل القاطع، ويترك الباقى، الذى لا يهم كثيراً فى الوقت الحاضر، لأولئك الذين يملكون الجلد والأناة الكافيين لتحرى أمره. وهكذا تبرز له فى الـ Pentateuch أى التوراة الطبقـات الكبيرة الثلاث دون أن يصبح التقسيم شديد الدقة والتشعب بحيث يصبح بذلك غامضاً وباعثاً على الشكوك.

إن على أبحاث التاريخ الخليقة بهذا الاسم أن تستند إلى التقاليد المتوارثة التى تتناولها هذه الأبحاث. فاذا ما انتقلت هذه التقاليد المتوارثة المتسلسلة بالدرجة الأولى بوساطة تراث أدبى، فإن القضايا والمسائل الأدبية والتاريخية ترتبط بعضها بالبعض الآخر وتتشابك بحيث يصعب الحل فيما بينها. وإنه لمن أخطر الأشياء على البحث التاريخى أن يظل عالقا بالمسائل الأدبية. وقد حالت طبيعة ڤلهاوزن الخاصة الباحثة وراء الحقائق والوقائع دون اتخاذه من نقد الـ Pentateuch أى التوراة (كتب موسى الخمسة) هـدفـا نهائياً للبحث والدراسة. إذ لم يكن هدفه تأريخ الادب ولا نقد الأدب وانما كان التأريخ نفسه. ويتضح ما أراده فى الحقيقة من عنوان كتابه الشهير الذى ظهر عام ١٨٧٨ : «تاريخ بنى اسرائيل، المجلد الأول» والذى ألحق وتم فيما بعد بكتاب «مقدمة لتاريخ بنى إسرائيل» (١٨٨٣ — ١٨٨٦). وبذلك بعث عالم منسى ضائع بعثاً جديداً. وتحولت التوراة من معضلة تاريخية إلى ما كانت عليه قديماً: إلى نهج كهنوتى منبعث من الحياة ولخدمة الحياة. وعرض كل ذلك بلغة واضحة شفافة كالبلور خلت من كل صقل لغوى علمى متكلف.

وبعد هذا المؤلف لم يعد ڤلهاوزن يتوقع أن تستدعيه كلية لاهوت لمنصب الاستاذية، وكان عليه أن يتقبل فكرة البقاء فى جامعة كانت امكانات التطور والارتقاء محدودة فيها، والاكتفاء بالمحافظة على الأفضل والأصيل لنفسه. وادى به هذا إلى التخلى عن استاذية اللاهوت فى غرايفسڤالد عام ١٨٨٢. وإذ تخلى عن كليته الخاصة، منحته كلية الفلسفة الدكتوراة الفخرية. وعينته الحكومة استاذاً خارج الملاك للغات السامية فى هاله. ولم يعجبه الحال هناك، وكان سعيداً حين استدعته بعد ثلاثة اعوام كلية اللاهوت فى جامعة ماربورغ ليصبح استاذاً نظامياً فيها. وكانت اعوام ماربورغ فى مناح كثيرة أسعد اوقاته اطلاقاً. وحين سئمت نفس ڤلهاوزن حقل العهد القديم بعد حين، لم تستهوه دراسة الكتابة المسمارية التى أصبحت اكثر شهرة آنذاك بقدر ما استهواه الوجه الآخر لدين يهوه وقانونه الذى انتهى أخيراً إلى يسوع المسيح، ونعنى بالطرف المقابل: الإسلام كما نشأ فى الجزيرة العربية وبالقدر الذى ظل يرتدى قالباً عربياً خالصاً فيه. وحين كان لا يزال فى غرايفسڤالد ألقى مرة محاضرة عامة عن محمد. وخلال زيارته إلى انجلترا بدعوة من ويليام روبرتسون سميث آنذاك اقتبس من مخطوط كتاب المغازى للواقدى أقدم وأرصن رواية متوارثة عن محمد فى المدينة، كما اقتبس من ابن سعد الوثائق الهامة المتعلقة بانتشار الإسلام. وفى فترتى هاله وماربورغ، حيث اهتم بالعربية بالدرجة الأولى، نشأت المشاريع والأعمال الأولية لمؤلفاته التالية، أو القسم الاكبر منها على الاقل. وفى غوتنجن أنهى تاريخ الدولة العربية وانهيارها (١٩٠٢) وكذلك الشروح والمقالات التى نشأت من الحواشى والتعليقات الخاصة ببحثه المذكور.

ومنذ الآن راح ڤلهاوزن ينكب بكل قوته واهتمامه على الشعر العربى والاحاديث والروايات العربية المتوارثة. ولم يمض وقت طويل حتى ألم بالأنساب العربية كمحدث عربى. ولم يبق عالقاً فى شباك الشعر العربى الذى ذهبت عدة مواهب ضحية له. ومن خلال اهتمامه بالعالم العربى القديم انتقل رأساً إلى صيرورة ونشوء آخر دين منزل فى أفق الكتاب المقدس. وحتى قبل ظهور النبى محمد كانت الديانة الوثنية التى تدين بها القبائل العربية والقائمة على تعدد الآلهة فى سبيلها إلى الانحلال، وكانت قد بدأت تعم بينهم ديانة توحيدية غريبة تجريدية، وكان قد ظهر التساؤل حول هدف الوجود على الأقل. وقد ولدت نفس تأثيرات التفرعات البرية الفطرية للمسيحية فى الولايتين الرومانيتين جزيرة العرب وفلسطين، ولدت فجأة عملية اختمار غريبة فى العالم العربى، كانت تصعيداً للحس الحياتى يتفوق على نمط الحياة الطبيعية المعتاد بحيث قدمت بذلك عجينة الاختمار للاسلام. واكتفى ڤلهاوزن بالتأكد أولا من تحديد ومعرفة التربة التى نشأ عليها الاسلام وبادراك التناقض بين الديانة الساذجة التقليدية، أى الوثنية، وبين عناصر الدين الجديد.

وبينما نجهل تفاصيل فترة الرسول المكية تتوفر معلومات أكثر حول العمل التنظيمى الذى تطور ونشأ فى المدينة: فمن خضم الروايات والاحاديث التى سرعان ما نمت وأصبحت كالاساطير اختار ڤلهاوزن الروايات المباشرة وخاصة تلك التى اشتملت عليها الوثائق التى كان السباق إلى نشرها

والّتي تظهر كيف توصل النبي إلى إحلال السلام فى البلاد بتوجيه طاقات الشعب الفتية المتدفقة إلى الخارج بدلاً من تضاربها الواحدة ضد الأخرى. وبذلك مهد ڤلهاوزن من الأمام ومن الخلف الطرق الّتي تؤدى إلى المسألة التاريخية لنشوء الاسلام وصيرورته. ولكنه افتقد إلى الطريق الكامل الذى أدى بالعرب بعد وفاة الرسول إلى السيادة على مملكة عالمية لمدة تزيد على القرن. ولحسن الحظ، فقد بدأ تاريخ الطبرى الضخم فى الظهور فى هذه الأعوام، وقد اقتبست فيه كتب التاريخ القديمة كل على حدة، بحيث اصبح من الممكن متابعة تطور الاحاديث والروايات والسير المتوارثة. وأدرك ڤلهاوزن خلافاً للحكم الذى كان سائداً أن ثروة القصص المتوارثة حول الفتوحات الكبيرة الأولى ما هى إلا مظهر خداع، ولكنها فى رواياتها حول نشوء الخلافات المذهبية والفرق الكبيرة تقدم مجموعة وافرة من المعلومات المباشرة الأصيلة. ومن دراسة الروايات المتوارثة نمت بصورة عضوية فكرة عرض الخلافة الأموية. وكان تعاقب الخلافة فى الاسرة الاموية ابتداء من معاوية الداهية حتّى الكارثة الختامية المريعة خليقاً باغراء قصاص على سرد هذه الوقائع. ولكن كتابة تأريخ من نوع رفيع تحتاج إلى قطبية تولد حركة إيقاعية منتظمة فى المادة التاريخية. ووجد ڤلهاوزن هذه القطبية فى التوتر القائم بين الدولة والدين، بين سياسة الحكم الّتي ولدتها الدولة، والثيوقراطية الّتي يحتمها الدين. وكانت التناقضات بين عرب الجزيرة ذوى المراس الصعب والذين يصعب اخضاعهم للنظام وبنى جلدتهم فى سوريا وفيما بين النهرين الذين نشأوا نشأة سياسية وعسكرية بفضل انتمائهم الطويل للدولة الرومانية وللكنيسة المسيحية، لقد كانت هذه التناقضات سبباً فى انهيار العروبة الحرة الأصيلة أمام استبداد العباسيين الخاضعين للتأثير الايرانى. ورغم أن أمثال هذا العمل قليلة فى مكتباتنا، إذ يعتبر فى حجمه الضخم أروع عرض مملكه للتاريخ السياسى للاسلام حتّى انهيار الدولة الأموية، إلا أنه لا يقرؤه إلا القليلون فقط.

ثم انتهت فترة ماربورغ السعيدة قبل الموعد الذى كان ڤلهاوزن يتمناه. فبعد وفاة پاول دى لاكارد Paul de Lagarde فى ٢٢ ديسمبر ١٨٩١ استدعى ڤلهاوزن إلى غوتنجن كخلف له، وكان رودلف سمند Rudolf Smend يحتل مقعد الاستاذية لأبحاث العهد القديم فى كلية الفلسفة. وفى غوتنجن تحول كتاب «مقدمة فى تاريخ بنى اسرائيل» إلى مؤلف عظيم بعنوان «التاريخ الاسرائيلى واليهودى» (١٨٩٤)، وصلت طبعاته حتّى عام ١٩١٤ إلى السبع، وظهر عام ١٩٥٨ فى طبعته التاسعة. وبما أن ڤلهاوزن عرض مؤلفه تحت هذه العبارة: «يهوه إله اسرائيل واسرائيل شعب يهوه»، فقد نال عرضه التاريخى بالمفهوم العلمى والفنى قوة تعبير لم يبلغه مؤلف قبله فى حقل التاريخ القديم.

وبعد إنهاء المؤلفات العربية اتخذ ڤلهاوزن لنفسه مهمة تفسير الأناجيل الثلاثة الأولى، وانكب على عمله حتّى انتهى منه بالسرعة الّتي امتاز بها. وظهرت ترجمات وتفاسير أناجيل مرقس ومتّى ولوقا بسرعة، الواحدة تلو الاخرى فى ١٩٠٣ و١٩٠٤. وكان من ميزات ڤلهاوزن أنه لم يعالج الأمر من زاوية اللغة اليونانية الكلاسيكية، الّتي لم تكن ستفيد كثيراً بالنسبة للعهد الجديد، وانما جاء الأمر من زاوية اللغات السامية: فما كان آرامياً فى التفكير وطريقة التعبير أدركه فوراً بمجرد سماع اليونانية المجردة من المرونة والخالية من قوة التعبير. وقد علمنا على فهم لغة انجيل مرقس فعلا وبوجه خاص وأظهر من خلال ثغرات عديدة أن أقدم رواية متوارثة، ليس الشفوية فحسب، بل وكذلك المخطوطة، كانت آرامية الأصل.

ويوجد ڤلهاوزن فى تفسيره للأناجيل الثلاثة الأولى علاقاتها التاريخية بعالم أفكار وأحاسيس العهد القديم. ثم أتبع ذلك بتحليل لكتاب الرؤيا وبحثين حول تاريخ الحواريين. وفى عام ١٩١٤ ظهر التحليل النقدى لتاريخ الحواريين، وكانت حالته الصحية قد أعاقت طبع الكتاب عدة مرات. وفى السابع من يناير عام ١٩١٨ أنقذت المنية يوليوس ڤلهاوزن من استشهاد حقيقى. إذ بلغ حداً لم يعد عنده قادراً على العمل، ومما زاد من شعوره بقسوة ذلك أن فكره ظل صافياً يقظاً حتّى النهاية.

لقد كان لأعمال ڤلهاوزن الخاصة بالتاريخ الاسرائيلى اليهودى أبعد الأثر. ولكن كاتب سيرته كارل هاينرش بيكر محق حين يقول عن ڤلهاوزن: «ولكن ربما كانت عبقرية الانجاز الفردى أقوى فى حقل الدراسات العربية. ففى ميدان العهد القديم كان له سابقون، بحيث كانت الاسئلة قد أثيرت هناك، وكانت المشكلة فى متناول اليد، رغم أن دخوله الميدان هو الذى أدار عجلة البحث. ويختلف الأمر تماماً بالنسبة لعرضه لتاريخ الخلافة العربية. فهنا شق بقوة لا مثيل لها حتّى الآن سبل سير فى ادغال

◀ صحيفة من الترجمة الألمانية الّتي قام بها ڤلهاوزن لديوان الهذيليين والّتي لم تنشر حتى الآن.
نشكر الأستاذ أنطون شال لوضعه هذا التصوير تحتً تصرفنا.

4 Çachr al Ghaij von Chuthaim No 2.

beim Leben des Abu Amr! ihr habt nun die Geschicke getrieben in ein Grab, das ihm auf den Höhen gerichtet ist, 2 infolge (des Bisses) einer (Kurzstachelschlange im Loch weilenden), die der Trieb der Geschicke und der sicheren Gewalten dort oben hingeführt hatte.

3 Ein Bruder, nach dessen Tod es keinen Bruder mehr für mich gibt — seine Unsicherheit entheilte mit ihren allen Heilmitteln und Zaubern. 4 Ihr meine Augen (weh weint ihr so)! die Zeit überdauert nicht ein ~~[illegible]~~ Milchbock in einer Einöde (hoch oben) unter den Wolkenstreifen, 5 er der sein Leben lang weidete, bis seine Gehörne Ringe hatten mit Rändern wie Fingerknöchel. 6 Wenn er die Nacht wiederholt ~~[illegible]~~ zieht er sich einsam zurück, wie ein ~~[illegible]~~ eingehüllter ~~alter Mann~~ Alter, der (mit den Seinen) in Feindschaft lebt, 7 wie ein Alter, der ~~[illegible]~~ unaufhörlich klagt über den Schmerz, daß seine ~~nächsten [illegible]~~ ihm nächststehenden Söhne ihm aufsässig ~~[illegible]~~ ~~[illegible]~~ — 8 in ein Bergstück, wo ~~über~~ allerlei Balsam- und Akazienbüsche über ihm herabhängen, mit duftenden Zweigen und wallendem Gelock. 9 Dort war er jung, dann schüttelte er und ward vollzähnig und endlich war er ein Alter unter den begabten Böcken. 10 Der Schrei eines Raben genügt ihn aufzuschrecken, und dann wandte er sich zum Tummelplatz der Felsen, ein flüchtigster der Flüchtigen. 11 ~~[illegible]~~ Den mied eines Tags, der schon sein Leben lang war, der Versorger eines gekrümmten hängigen Greises zum Unsicherheit, 12 der ihm im Winter jagte und im Sommer für ihn Kräfte suchte, so eifrig als ob ihm ein Gelübde ob. 13 Als er nun den Bock sah, sprach er: wunder, wer je eine solche Brustbrust erblickt hat! 14 ~~[illegible]~~ den erlegt meinet ~~[illegible]~~ ~~[illegible]~~, wirds ~~[illegible]~~ an meinem lieben Alten Nahrung geben, so lange bis ein Gestirn der Menschen Regen schenkt. 15 Er ~~[illegible]~~ tiefste um ihn herum, und als er nah genug war, schoß einen braunen ~~gerad~~schneidigen Pfeil auf ihn,

كان لا يمكن اختراقها، كما بدأ فى تحويل أجزاء منها إلى منتزهات منسقة منظمة.»[٣]

وحتى ما قام بنشره من مخطوطات يدل على قدرة الناشر على الحكم التاريخى. ففى الملاحظات السابقة لترجمة الواقدى[٤] يقارن الواقدى بابن اسحق فى بحث مختصر غنى بالمضمون والفائدة. وقد يقدم الواقدى فى بعض الحالات المادة الأصلية، ولكن فى اغلب الحالات التى يفترق فيها الواقدى وابن اسحق، يقدم لنا الاخير ما هو أفضل واكثر أصالة. ومع أغانى الهذيلية، التى أصدر ڤلهاوزن قسمها الأخير بالعربية والترجمة الألمانية عام ١٨٨٤[٥]، وذلك تتمة للقسم الأول الذى أصدره كوزيغارتن Kosegarten عام ١٨٥٤، ألحق ڤلهاوزن تقييما تاريخياً بالإضافة إلى رسائل محمد والسفارات التى وفدت عليه والتى أصدرها فيما بعد كقسم ثالث فى الكراس الرابع من «دراسات واعمال أولية» فى برلين عام ١٨٨٩. وعلى وجه العموم فليس هناك ما يدعو إلى الشك فى أصالة الرسائل الأخيرة. فغالبها موجه إلى قبائل بعيدة لا أهمية لها. وهى لا تتمشى وروح الرسائل التالية، ولكنها لا تظهر محمداً كنبى حازم لا يعرف الهوادة، وانما كسياسى عملى لا ينظم مراكز معتنقى الاسلام حسب مبادئ عامة ثابتة، وانما حسب اتفاقات مختلفة تقريبا، وأنه يتفاوت فى مطالبه وفى عروضه كثرة وقلة بتفاوت الأشخاص والظروف.

أما كتاب «بقايا الوثنية العربية، مجموعة ومفسرة» (برلين عام ١٨٨٧)، وهو أول عرض تاريخى فى حقل دراسات اللغة العربية لڤلهاوزن فيتعلق بتاريخ الأديان. وكل ما نملكه تقريباً من أخبار عن الوثنية العربية يعود فى مرجعه إلى العهد الاسلامى، بحيث صبغت جميعها بالصبغة الإسلامية. فالوثنية تشوه باظهار الناحية السلبية عندما تتناول أموراً يرفضها الإسلام، بينما تشوه باظهار الجوانب الحسنة فى الحالات التى ورث الاسلام فيها اموراً وثنية. ويحاول ڤلهاوزن تطهير الجذور الوثنية من الجانبين ليتعمق فى الاصول الوثنية الحقيقية؛ وبذلك ينفخ الحياة فى الآلهة والقرابين الوثنية وفى الأعياد والأسواق العربية القديمة، وفى الايمان بالأرواح والسحر. وبذلك يلقى اضواء شديدة على دين بنى اسرائيل، ومن الجهة الأخرى يساعد على تفهم ما هو عربى فى العهد القديم.

وتعالج دراسته «المدينة قبل الاسلام» (فى دراسات واعمال أولية، الكراس الرابع، القطعة الأولى، برلين ١٨٨٩) كذلك تاريخ ما قبل الاسلام، مؤكداً على الناحية السياسية اكثر من الناحية الدينية. وفى دراسته «مقدمة إلى اوائل تاريخ الاسلام» فى دراسات واعمال أولية، الكراس السادس، برلين ١٨٩٩، يتفرغ ڤلهاوزن للإسلام نفسه. وفى هذه المقدمة يعالج تاريخ الاسلام، باستثناء فترة محمد نفسها، حتى وقعة الجمل (٦٥٦ ميلادى). ومنذ الصفحات الأولى من هذه الدراسة تتضح المشكلة الرئيسية. إذ تتناول الأمر خيطين من الروايات المتوارثة الواحد منهما يستبعد الآخر، أحدهما سيف ويمثل الاتجاه العراقى المتحيز، والثانى ابن اسحق، والواقدى، والمدائنى وابن الكلبى ويمثلون اتجاه المدينة القديم الرشيد. وهناك روايتان لرجلى دين مسيحيين معاصرين للاحداث تؤيدان أمانة الاحاديث المدنية بالمقارنة بالأحاديث العراقية. وبالتحقق من تفوق الاحاديث المدنية يتحقق العمل الرئيسى لتأريخ هذه الفترة.

وبعد مقالتى «الفرق الدينية السياسية المتعارضة فى اوائل عهد الاسلام» و«معارك العرب والروم فى عهد الأمويين» اللتين نشرتا فى أبحاث وأنباء جمعية جوتنجن للعلوم عام ١٩٠١، توج ڤلهاوزن أعماله جميعاً بتأليف ذروة انتاجه فى التاريخ الإسلامى وهو: «المملكة العربية وسقوطها» الذى نشر فى برلين عام ١٩٠٢، والذى يتناول التاريخ الاسلامى حتى نهاية الخلافة الاموية عام ٧٥٠ ميلادى. وهناك عرض مختصر يتناول المصادر المتوفرة لهذه الفترة وميولها وأهميتها. فأبو مهنف يمثل الاتجاه العراقى الكوفى، وهو يميل بعواطفه إلى العراق ضد سوريا، وإلى جانب على ضد الأمويين. أما أبو معشر والواقدى فيمثلان الاتجاه العلمى المدنى وهما يتابعان، على تقاليد رواة المدينة الثقاة، تاريخ العهد الاموى بموضوعية علمية دون ابداء ميل عاطفى ملموس للأمويين. أما الروايات السورية التى تميل إلى الامويين فقد اندثرت، ولكن آثاراً منها بقيت محفوظة فى التاريخ المسيحيحى. أما المدائنى فقد كان موالياً للعباسيين. ويتمسك ڤلهاوزن فى تقييمه للمصادر بهذه الأسس، دون أن يتخلى من حين لآخر عن إصدار حكمه من حيث وجهات النظر الموضوعية. وكما يؤكد كارل هاينرش بيكر

---

(٣) انظر Carl Heinrich Becker, Julius Wellhausen فى Islamstudien، المجلد الثانى، لايبزغ ١٩٣٢، ص ٤٧٤ — ٤٨٠.

(٤) Muhammed in Medina. Das ist Vakidi's Kitab al Maghazi in verkürzter deutscher Wiedergabe, herausgegeben von Julius Wellhausen. Berlin, 1882.

(٥) هناك ترجمة ألمانية للقسم الأول موجودة على شكل مخطوط. وقد استخدمت فى قاموس اللغة العربية الكلاسيكية، Wörterbuch der Klassischen Arabischen Sprache، راجع فهرس الموضوعات ص XI من الكراس الأول، ڤيسبادن ١٩٥٧. وترى صفحة من المخطوط إلى جانب هذا الكلام.